Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بهذا الاعتراف تتبدى العلاقة النفسية والعاطفية في أجلى صورها، وتقوم بالنسبة لنا كدليل آخر على استمرار الرعاية الأسروية/التربوية في حياة الطفل بمعنى مغاير. فكأنما عوض الكحاك هنا الجدة تعويضا بالمعنى الذي يفيد أن الأدب تربية فكرية، بمثل ماكانت التربية هناك توجيها سلوكيا. ومما يؤكد هذا أن الطفل، رغم انفصاله عن الكحاك لما ثار حول علاقتهما من شبهات استدعت تدخل العائلة وبعض النصحاء، استمر على شغفه بالأدب كميل فكري ، بل ويخبرنا أنه أنشأ مكتبة خاصة بذلك، («وكانت مكتبتي الصغيرة.. لا تشتمل، بعد الكتب المدرسية ، إلا على كتب الأدب») (ص 26)، وصار مأخوذا بقراءتها لما يجد فيها من لذة ومتعة ، أو عائشا، كما يقول «في عالم متفرد، عالم بغداد وعصر الرشيد بما فيه من قصف ولهو وزهد وإيمان وإخلاص عقيدة » (ص 26).

يسترعي انتباهنا أن علاقة الوزاني بالكحاك خضعت لمؤثرين هامين : المؤثر الأول أدبي فكري، والثاني نفسي عاطفي. ويمكن الاستنتاج بأن المسيد (وهو الذي حضن هذه العلاقة ونظم خضوعها للمؤثرين السابقين) مثّل في فكر الطفل ما مثلته الأسرة في سلوكه. فكما أن الأسرة كانت هناك إطارا عاطفيا وتربويا يتولى رعايته وتوجيهه، كذلك أصبح المسيد هنا مجالا حيويا لتفتحه وتبلور شخصيته . وإذا كانت الجدة (المربية)، في الحالة الأولى، جسدت السلطة المعنوية المؤثرة ، فقد ظهر الكحاك ، في الحالة الثانية ، كموجه فكري مؤثر هيأ للطفل سبل الانفتاح على عالم لم يكن له به سابق معرفة. أفلا يمكن القول إن الدور الذي مارسه الأدب في فكره يناظر، ولو بصورة مختلفة، الدور الذي حققته التربية الصوفية الأخلاقية في سلوكه وطبائعه ؟

لنكتف بالقول إن المعطى الثاني في التكوين الذاتي يرتبط بالأدب كمرحلة في الوعي ويقوم على الاتصال الشخصي المباشر ، النفسي والعاطفي.

2 ـ راحة الاستسلام

الأدب كان مرحلة في الوعي ، وهو كذلك في التكوين الذاتي. ولما كنا قد أشرنا إلي حادث انفصال الوزاني (الطفل) عن الكحاك (الفقيه) وسجلنا بأن ذلك تم من جراء الشبهات التي قامت حول علاقتهما، فمن الضروري أن نعتبر، تبعا لذلك، بأن مرحلة الأدب انتهت بانتهاء العلاقة هذه ، فقد كان موضوعا وكان الأدب عنوانا لها، ولكن هذا لا يجب أن يقلل في الاعتبار من تأثيراتها ومخلفاتها، خصوصا وأن الانتقال إلى مرحلة أخرى لاحقة، في الوعي وعلى صعيد الذات، جاء تأسيسا على ما اعتمل في المرحلة السابقة أو تولد عنها.

فكيف تم ذلك ؟، وما هي دوافعه ؟